

الرَّسَالَةُ ١٠٥

الحَيَاةُ الْمَسِيحِيَّةُ وَالْكَمَالُ

(Arabic - The Christian life and perfection.)

أحباي.. مَوْضُوعُ حَدِيثِنَا الْيَوْمَ عَنْ: الْحَيَاةِ الْمَسِيحِيَّةِ وَالْكَمَالِ.

ومن سفر التكوين الأصحاح السابع عشر نقرأ العدد الأول:

"ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر له الرب وقال له: أنا الله القدير سرّ أمامي وكن كاملاً".^١

ومن إنجيل متى الأصحاح الخامس نقرأ العدد الثامن والأربعين:

"فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل".^٢

إنّ الكمال لله وحده وليس في البشر من هو كامل من ذاته. وقد يسأل سائل: ما المقصود من قول الرب لإبراهيم خليله: كن كاملاً؟ ومن قول السيد المسيح لتابعيه في موعظته على الجبل: فكونوا أنتم كاملين؟ هل المقصود أن يُجاهد المؤمن بكل ما أوتي من إرادة وعزيمة ليصل إلى الكمال المنشود؟ بكل تأكيد: لا. فإله يعلم أنه أمرٌ مستحيلٌ على الجهد البشري أن يسمو بصاحبه إلى مرتبة الكمال. لأنه إذا كان الكمال يتوقف على قدرة المرء الذاتية فلماذا تشير كلمة الله إلى أن "الجميع زاغوا وفسدوا معاً، ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحداً"؟^٣ أو ليس هذا يعني أن الكل عاجزٌ عن إتيان الصلاح والوصول إلى الكمال؟. أما جاء المسيح ليكمل نقصنا ويعين ضعفنا وقصورنا؟. نجيب بنعم. ولكن لا يفوتنا أنه إذا تأملنا جلياً في قول الله لإبراهيم أب المؤمنين: "أنا الله القدير سرّ أمامي وكن كاملاً".. سنبرز أمامنا ثلاث حقائق سوف تعيننا على فهم الكمال المطلوب وكيفية الوصول إليه.^٤

أولاً: إن الله القدير يدعونا إليه ليقويننا.. ليس قصدُ الله أن نعتمد على ذواتنا لنحقق الكمال المطلوب منا. إن كل ما يطالبنا به الله أو يوجهنا لعمله يمكننا إنجازهُ ولكن ليس بإمكاناتنا البشرية الضعيفة بل بقوته هو وإلا ما طالبنا به. إن الله بقوله: "أنا الله القدير" يعلن لإبراهيم قدرته فائقة العظمة ليضع خليلُ الله وهو سالكُ طريق الكمال ثقته فيه طول الطريق لأنه الله القدير الذي يعمل بكل قدرته الإلهية مع الذين يسيرون أمامه باتكال كامل عليه. لذلك يفتخر بولس الرسول برسالته إلى مؤمنى فيلبى بقوله: "أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني".^٥

ثانياً: إن الله القدير يدعونا لنسير أمامه ليهدينا.. إن الكمال المطلوب ميسور. إذا التزمنا بالتواجد المستمر أمام الله القدير. كمريم التي جلست عند قدميه مستمعة إليه. إن المكان الذي كان يلزم إبراهيم ليشغله هو أن يكون بصحبة الرب دائماً والاستجابة لصوته مسترشداً به ليهديه خطوة بخطوة. لأن السير أمام الرب هو الكمال بعينه. قد لا نعلم الآن إلى أين ولكن ما نعلمه أن قائد مسيرتنا هو معنا ليهدينا إلى أرض مباركة سوف يرينا إياها.^٦

ثالثاً: إن الله قديرٌ وبصحبته سنكون كاملين وسيغنيننا.. يقول الحكيم في أمثاله: "يا ابني أعطني قلبك ولتلا حظ عينك طرفي". لقد أعطى إبراهيم قلبه كاملاً لله. وخرج من أور الكلدانيين تاركاً أرضه وعشيرته وبيت أبيه وهو لا يعلم إلى أين. ولما امتحنه الرب أظهر طاعة كاملة. إذ وضع إسحق ابنه وحده الذي كان يحبه على المذبح. لقد أطاع وأضعا ثقته كاملة في الله الذي دعاه. مؤمناً بأنه سيحقق وعده. فالطاعة هي سر الكمال. لذلك باركه الرب ولم يعوزه إلى شيء من الخير بل أغدق عليه من فضيه. لدرجة أن الكتاب يسجل بالأصحاح

استمع إلى الإنجيل

^١ سفر التكوين ١٧ : ١

^٢ إنجيل متى ٥ : ٤٨

^٣ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٣ : ١٢ ، رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ١٢ : ٩

^٤ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى فيلبى ٤ : ١٣

^٥ إنجيل لوقا ١٠ : ٣٨ - ٤٢

الثالث عشر من سفر التكوين هذه الكلمات: "وكان أبرام غنياً جداً في المواشي والفضة والذهب" وكذلك لوط ابن أخيه الذي اصطحب عمه إبراهيم ولكن لوط غير مساره إذ اختار لنفسه أن يعيش وأسرته في مدينة مليئة بالشر والأشرار. وأسفاه بدأ لوط سيره أمام الله حسناً ولكنه أنهاه سبباً فدفع الثمن غالباً. لقد أنزل الله ناراً وكبريتاً على سدوم وعمورة وحسب لوط كل شيء. وهذا مصير من يحيد بعيداً عن طريق الرب طريق الكمال. ولو لا لطف الله وطول أناته لهلك لوط. ولكن رحمة الله افتقدته فأنقذه وابنتيه من الهلاك. وإذا تأملنا قول الرب الذي جاء بإنجيل متى: "فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل" .. تبرز أمامنا ثلاث حقائق هامة:

أولاً: إن الكمال هو عمل روح الله في المؤمن الروحي.. وليس بالقدر ولا بالقوة. نحن كاملون في المسيح الكامل فهذا مركزنا فيه. ولكننا مطالبون بالقلب الكامل وهذا عمل الروح القدس فينا إذا سمحنا له. لأن الله يرفض كل عمل له مظهر الكمال ويكون مصدراً لطبيعتنا الساقطة. كتب أحد القديسين تلك العبارات عن كمال المؤمن: ليس شرطاً أن يُنتج المؤمن في حياته إيمانه عملاً كاملاً طالما له القلب الكامل أمام الله. إن الابن المخلص المطيع يسير قلب أبيه حتى لو أنجز في البدء عملاً ناقصاً. فهو يبدو في نظر أبيه كاملاً لأن أباه يرى فيه المستقبل حينما ينضج ويتم تربيته. إن القلب الكامل يسكن في روح الله الذي يقود المؤمن الروحي ويُبهر الطريق أمامه. كما أن إيمانه بأن صلواته المرفوعة أمام عرش الله مقبولة لا يتزعزع وطلباته حتماً مستجابة.^١

ثانياً: إن الكمال طريق نبدو ثم نسير فيه لنقطع شوطاً بعد شوط.. إنه سلم نصحده درجاته واحدة بعد الأخرى. ولن يأتي هذا الكمال المطلوب في لحظة بل يأتي بنموًا وتقدمًا في حياة الإيمان. والأمر الشاذ غير المقبول أن يقف نموًا عند حد. فنبدو أطفالاً في الإيمان وقد مضى علينا سنوات في معرفة الرب. إن المؤمن الناضج يسير في طريق الكمال ويدرك ذلك بالروح الساكن فيه. ولكن من الخطورة أن يحسب المؤمن نفسه أنه أصبح كاملاً. فهناك أشواط أخرى في طريق الكمال. يقول الرسول بولس في رسالته إلى مؤمنى فيلبى: "ليس أتي قد نلت أو صرتُ كاملاً ولكني أسعى لعلى أدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع".^٢

ثالثاً: إن الكمال يتحقق بموقف المؤمن الصحيح من أعدائه.. لقد قال الرب يسوع لتابعيه في موعظته على الجبل: "أحبوا أعداءكم باركوا لاعينكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يُسيئون إليكم ويطردونكم. لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات. فإنه يُشرق شمسهُ على الأشرار والصالحين ويُمطر على الأبرار والظالمين. فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل". ولكن كيف يُطلب منا هذا النوع من المحبة وهي ليست من طبيعتنا البشرية؟! إننا بدون الطبيعة الجديدة يستحيل علينا ممارسة هذه الوصية. والرب يُطالبنا بها على أساس أننا أولادُه ولنا الطبيعة الجديدة من الأب. لذا يُشير الرب يسوع إلينا بالقول أننا: "أبناء أبينا الذي في السموات". إن الرب يسوع يفتح عيوننا وأذهاننا كمؤمنين إلى ارتباطنا الجديد مع الله. لقد عرس الأب في قلوب أولاده بذرة الكمال بالميلاد الثاني لتنتب وتثمر وبهذا نكون كاملين كما أن أبانا السماوي هو كامل.^٣

قال الرب يسوع: "بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً". وقال بولس الرسول: "أستطيع كل شيء في المسيح الذي يُقويني". فالكمال ميسور بالإتيان إلى يسوع مصدر القوة لإنجاز ما ليس في مقدرتنا إنجازهُ بذواتنا. ونختم حديثنا بما كتبه بطرس الرسول في رسالته الأولى: "والله كل نعمة الذي دعانا إلى مجده الأبدي في المسيح يسوع بعدما تألمتم يسيراً هو يُكملكم ويثبتكم ويقويكم ويُمكنكم له المجد والسلطان إلى أبد الأبد. أمين".^٤

عزيزي القارئ.. أدعوك كي ترفع قلبك مُصلياً معي: أبانا السماوي.. أتى إليك مُعترفاً بخطاياي وذنوبي راجياً صفحك وغفرتك. مُعترفاً بعجزى وضعفى فقوئى. أشتاق أن أحيا كاملاً حسب ما أوصيتني فأعني.. استجب صلاتي إلهي لأتئى أرفعها في اسم يسوع البار.. واتقا من وعدك يا من قلت: من يُقبل إلى لا أخرجه خارجاً.

أخي القارئ العزيز.. إن أردت سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك في:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ سفر الأمثال ٢٣: ٢٦ ، سفر التكوين ١٢: ١-٩ & ٢٢: ١-١٤ & ١٣: ٢-١٣ & ١٩: ١٦

^٢ سفر زكريا ٤: ٦ ، سفر الملوك الأول ٨: ٦١ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٨: ١١

^٣ رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى فيلبى ٣: ١٢ ، إلى مؤمنى أفسس ٤: ٣٠

^٤ إنجيل متى ٥: ٤٤-٤٨ ، إنجيل يوحنا ١: ١٢، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى رومية ٨: ١٦ ، رسالة يوحنا الرسول الأولى ٣: ١

^٥ إنجيل يوحنا ١٥: ٥ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى فيلبى ٤: ١٣ ، رسالة بطرس الرسول الأولى ٥: ١٠